



تمهيد :

الكتاب المقدس وغير المقدس، الكتب السماوية والكتب غير السماوية. الكتاب بأشكاله المختلفة، على الصخور في الكهوف. الكتاب المسطور والكتاب المنظور. الكتاب رسالة. الكتاب خطاب متوجه إلى الآخر. المرسل يتوجه بخطابه إلى مرسل إليه. غالبا ما يتلقى المرسل إليه هذا الخطاب في غياب المرسل. غياب مادي جسدي. وإلا فالمرسل حاضر بكل قوة من خلال عناصر شتى ييئها داخل كتابه. فالكاتب (المرسل) يتخذ جميع الاحتياطات حتى يكون خطابه مفهوما ومستوعبا من الطرف الآخر.

إن مقروئية المكتوب تحتم على الكاتب التصدي أثناء كتابته، لكل الأمور التي قد تحول دون بلوغ الخطاب. فالنص، لابد وأن يتضمن العناصر التي تساعد على التأويل والتفسير والفهم وتجيب على استفسارات القارئ واستيضاحاته وتعمل على تذليل كل الصعوبات التي قد تحول دون استيعاب الخطاب المراد تبليغه.

كتب الله سبحانه وتعالى الإحسان على كل شيء، ومن الإحسان أن نتحرى الإتقان عند التأليف. نرجو من ذلك أن يكون لنا قربة عند الله سبحانه وتعالى، نربي به أجيالا، فيكون لنا به صدقة جارية.

لنستوفي عند التأليف المعايير العلمية والموضوعية. لننتخذ من الاكتشافات التقنية في فن التصوير والطباعة والمعلومات سندا لنا حتى يكون الكتاب جذابا يستهوي القارئ. لننتحلي بالموضوعية والعلمية حتى تكون المعلومات مفيدة ومثمرة للأمة جمعاء.

ولنعديل أيضا بين جميع أفراد هذه الأمة. فنراعي عند التأليف الفروقات الفردية بين المتعلمين. إن ما يلفت الانتباه، عند تفحص أي كتاب مدرسي هو وحدة المواد والمحتوى والأنشطة والتمارين لجميع التلاميذ ولجميع المدارس والمدن والجهات دون مراعاة الفروق الفردية للتلاميذ، سواء منها الذهنية أو الاجتماعية الاقتصادية، أو الظروف البيئية..

فإذا قلنا بتساوي الحظوظ بين التلاميذ، فهل الكتاب الواحد، ذو المضمون الواحد، والذي يحتوي على نفس النصوص ونفس الأسئلة ويعبر غالب الأحيان (أو ينبع) عن واقع معين، هل يضمن فعلاً تعليمًا متكافئًا بالنسبة للجميع ؟ فإذا كان الإحسان والإتقان أمرًا حتميًا تفرضه ضرورات سياسية (فلسفة المجتمع، دفتر التحملات) واقتصادية (المنافسة والتنافس بين المؤلفين) فإن العدل وتكافؤ الفرص بين التلاميذ يستوجب منا التفكير في نوعية الكتاب الذي يسعى إلى تحقيق هذا العدل الاجتماعي حيث يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ (النحل 99) ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾.

ويعبر عنه الغرب اليوم بشعار: "دمقرطة المدرسة".

I - الكتاب المدرسي:

يشكل الكتاب المدرسي أحد العناصر الهامة التي تسهم بفعالية في إصلاح المنظومة التربوية.

فإذا كان على الكتاب المدرسي أن يعكس الفلسفة التربوية وقيم المجتمع وأن يعمل على تقديم أنشطة تساعد على اكتساب الكفايات والمواصفات، وجب عليه في المقابل الاستجابة لتطور احتياجات المستعملين ومسايرة تطور الأفكار والذهنيات.

فالكتاب المدرسي يواجه عدة تحديات منها :

منافسة حادة من طرف وسائل أخرى أكثر جاذبية كالتلفزة والانترنت والمجالات المتخصصة.

ومن جهة أخرى، هناك تطور في عقلية وذهنية التلميذ، إذ أنه في عالم يتميز بالسرعة والحياة القصيرة للأشياء، أصبح الطابع الغالب على التلميذ هو الاندفاع والتسرع وعدم القدرة على الصبر، فالملل والضجر وعدم القدرة على الانتظار هو السلوك السائد في المجتمع والذي ينعكس أيضا على سلوكيات التلميذ داخل القسم وفي تعامله مع المواد والكتب الدراسية.

ومن جهة أخرى، فإن السمة التي تطبع مجموعة القسم هي الاختلاف في قدرات التحصيل، فالتلاميذ يختلفون في وضعيتهم الاجتماعية وبيئتهم الثقافية وقدراتهم الذهنية.

ولكل هاته الاعتبارات كان على الكتاب أن يراعي هاته النقط ويعمل على الاستجابة لمتطلبات العصر والبيئة المحيطة به.

ويعرف الكتاب المدرسي على أنه وسيلة بيداغوجية موجهة للأستاذ والتلميذ معا لبلوغ أهداف محددة من طرف التوجيهات الرسمية.

وهو يختلف عن باقي الكتب الأخرى - كالقصة، والكتب ذات البعد النظري، مثل الكتب الديداكتيكية وغيرها - نظرا لكونه يستمد أسسه ومشروعيته من سلطة فوقية تحدد سلفا الخطوات الواجب اتباعها. فهنا حرية الكاتب أو المؤلف مقيدة بشروط مسبقة:

✓ أولا: ينبع من فلسفة معينة تحدد النظام التعليمي وسيرورته.

✓ ثانيا: الأهداف العامة تستند إلى هذه الفلسفة ويتم ترجمتها إلى كفايات ومواصفات.

✓ ثالثا: التأليف يخضع لبرنامج ومنهج واحد، ودفتر شروط الوزارة على المؤلفين والناشرين.

ومن جهة أخرى تتباين الرؤى حول استعمال الكتاب المدرسي:

✓ هناك من ينظر إلى الكتاب على أنه وسيلة مساعدة، تعين التلميذ والأستاذ معا على استعمال المعلومات حول الدرس، دون التقيد بكل ما جاء في الكتاب، إذ يتم الرجوع إليه لتسهيل إنجاز التمارين داخل وخارج الفصل، وقد يحتوي على ملخصات وأسئلة تساعد التلميذ على الاستيعاب والبحث خارج الفصل.

✓ أما البعض الآخر فيرى أن الكتاب المدرسي لا يعدو كونه مرجعا مثل المراجع الأخرى، تحتوي على معلومات منتقاة تسير المقرر وتعمق في شرح التفاصيل ولكن دون أن تكون ملزمة للأستاذ والتلميذ، بل إن هذه الرؤية تحث الأستاذ على تحضير دروسه بالاعتماد على مراجع مختلفة بحيث يراعي أثناء تحضير الدروس انطلاقا من حاجيات التلميذ ووتيرة التعلم لدى مجموعة القسم، فلا يكون التلاميذ ملزمين، كلهم، ورغم اختلافاتهم، فالمضمون موحد.

✓ وأخيرا هناك من يرى، أن الكتاب المدرسي وضع من لدن الوزارة الوصية، لتحديد البرنامج والمناهج والأهداف العامة والكفايات والمواصفات ومنظومة القيم، فهو ملزم للجميع وعلى كل الأطراف الالتزام بما جاء فيه واعتماده الوسيلة الأساس في بناء المفاهيم وتصنيف الكفايات.

ولعل هذه الرؤى ووجهات النظر مفاهيم ونظريات للتعليم تستند عليها، ولكن يبقى الأساس أن الكتاب المدرسي هو الذي يسمح للتلميذ أن يتعلم مواجهة وضعيات معينة قد تعترض حياته ومستقبله ويكون قادرا على حلها وتجاوزها، فإذا كان التحصيل المعرفي عن طريق التلقين والإلقاء ضروريا في كثير من الحالات، إلا أن التعليم الحديث يتجاوزه إلى بناء الشخصية المستقلة والمسؤولة والقدرة على البحث وتحدي العقبات الشخصية التي لا تكتفي بترديد ما تم حفظه (وإن كان ذلك، أي الحفظ، ضروريا في بعض الحالات)، وإنما تتجاوزه إلى الابتكار والإبداع، فالبيداغوجية الحديثة تركز على مفاهيم جديدة، كالبيداغوجية المتكاملة *pédagogie intégrée* أو مفهوم الكفايات.

ففي إطار تخطي الانتقادات الموجهة إلى بيداغوجية الأهداف وخاصة النظرة التجزئية لهاته البيداغوجية، التي تركز على الهدف الإجرائي الذي يقصد من خلاله التأكيد على أن التلميذ قد تمكن من "فعل" شيء متجاوزا في ذلك الاكتفاء بتحصيل المعلومات ويتجلى الجانب السلبي في هذا المنظور، التمكن من مهارات مجزأة منفصلة بعضها عن البعض لا تؤدي إلى شيء متكامل يسمح بمواجهة وضعية حقيقية.

إن مفهوم الكفاية امتداد لبيداغوجية الأهداف لتجاوز هذه النظرة التجزئية. والكفاية هي مجموعة متكاملة ومتجانسة من القدرات تسمح، وبصفة تلقائية بالفهم والتصرف أمام وضعية معينة بالتفاعل معها بإيجابية. أما القدرة فهي تعني تفعيل المهارات أو السلوكات التي تنعكس إلى إنجازات واضحة وجليّة.

ويرى فليب بيرنو Perrenoud. Ph. "إن الكفاية هي القدرة على الاستنفار. أي القدرة على استنفار مجموعة من الوسائل (معرفة - كيفية العمل - تصاميم تقييمية - أدوات - وضعيات) لمجابهة وضعيات معقدة وفريدة بنجاح، فهي ليست تقنية أو معلومة إضافية، ولا يمكن إذن الاكتفاء بإغناء وتنويع الوسائل لكي تنمى الكفايات لأن تطويرها يمر عبر الاندماج والتكامل، والاشتراك الكامل لهاته الوسائل في وضع معين."

وفي تعريف آخر لوزارة التربية بكيبيك Montreal Quebec (2001)، فإن الكفاية "ليست معرفة ولا كيفية العمل ولا هي تمثل سلوكا معينا، وإنما تتجلى عندما يستعمل الإنسان كل هاته الوسائل لعمل شيء ما".

إذن فالكفاية تتخطى النظرة التجزئية للمعارف والمعلومات، وتتطلب الانسجام والتكامل والتجانس بين كل القدرات الواجب اكتسابها من طرف التلميذ. ومن ثم فإن إنجاز أي كتاب - مدرسي - لابد أن يأخذ بعين الاعتبار هذا المعطى فتأتي فصوله ووحداته الدراسية متكاملة أو متجانسة فيما بينها ومكملة لبعضها البعض. فتعليم موجه

نحو التمكن من الكفايات -لا يكتفي بتسلسل القدرات عبر برنامج معين، لابد وأن يركز في تأليف الكتب المدرسية- على بيداغوجية متكاملة، تتخطى النظرة التجزئية وتتجاوزها إلى المفهوم التكاملي بين القدرات، بحيث تكمل بعضها البعض لتكوين الشخصية المتعلمة المستقلة والمسؤولة القادرة على تجاوز العقبات. وتسعى البيداغوجية المتكاملة إلى تحقيق أربع أهداف :

1- إضفاء مغزى للتعليمات، وذلك بجعل هاته المعلومات ذات فائدة بالنسبة للتلميذ، بحيث يتم ربطها بوضعية حقيقية قد تعترضه مستقبلا.

2- التمييز بين ما هو أساسي وما هو ثانوي، وذلك بالإلحاح والتأكيد على التعليمات التي قد تنفع التلميذ في حياته اليومية أو التي قد تشكل أساس التعليمات اللاحقة.

3- تعلم استخدام معلوماته في وضعية معينة، إذ لا يجب الاكتفاء بحشو ذهن التلميذ بالمعلومات المتفرقة، إنما السعي وراء إقامة علاقات وروابط بين هاته المعلومات والقيم، وبين غايات التعلم، كأن ندعم مبادئ المسؤولية واستقلال الشخصية، وحب العمل والكفاءة فيه.

4- إقامة صلات وعلاقات بين المفاهيم المختلفة، لكي يتمكن التلميذ من القدرة على استنفار جميع معلوماته وكفاياته لحل أي مشكل قد يعترضه ولمجابهة أي عقبة غير متوقعة أو لمجابهة أي وضعية جديدة لم يسبق له أن واجهها.

إن النظرة التقليدية للكتاب المدرسي ترى فيه وسيلة لتبليغ المعلومات ومصدرا لمحتويات ومواد متتابعة ومتتالية، على التلميذ استيعابها عن طريق الذاكرة والحفظ أو عن طريق إنجاز تمارين متشابهة فيما بينها.

أما النظرة الحديثة للكتاب المدرسي، فهي لا تستبعد هذه الخاصية -تبليغ المعلومات- ولكن لا تقف عندها وإنما تتجاوزها إلى عدة وظائف أخرى يجب أن يتميز بها الكتاب المدرسي، ويرى (Gerard Rogiers 1993) أن الكتاب المدرسي يهدف إلى تحقيق سبعة وظائف مختلفة ومتكاملة.

- وظيفة تبليغ المعلومات.
- وظيفة تنمية القدرات والكفايات.
- وظيفة ترسيخ المكتسبات.
- وظيفة تقييم المكتسبات.
- وظيفة إدماج المكتسبات.
- وظيفة مرجعية.

- وظيفة تربوية، واجتماعية وثقافية.
وسنفضل كل هاته الوظائف لاحقا.

II - وظائف الكتاب المدرسي:

يشكل الكتاب المدرسي المرجع والمساعد البيداغوجي في العملية التعليمية/التعلمية، التي لها متطلبات كثيرة ومتنوعة، كان لابد للكتاب المدرسي أن يعكسها عبر وظائف متعددة منها:

1 - الوظائف المرتبطة بالتلميذ:

✓ نقل المعلومات:

يعمل الكتاب المدرسي على نقل المعلومات عندما يكون التلميذ في وضعية تعلمية يقصد منها تحصيل معطيات خاصة (اكتساب مفاهيم وقواعد وصيغ مصطلحات جديدة) والطريقة المتبعة هي الطريقة الإلقائية التلقينية، ولا يكتفي التلميذ بترديد هذه المعلومات وحفظها وتخزينها، وإنما ينبغي عليه أن يكون قادرا على استعمالها في وضعية تعلمية معينة.

✓ وظيفة تنمية الكفايات والقدرات:

إن الكتاب المدرسي لا يتيح فقط استيعاب المعلومات ولكنه يهدف إلى إكساب التلميذ منهجيات وسلوكات وطرق عمل. فإذا كان نقل المعلومات ينحصر في موضوعات التعلم، فإن العمل بالكفايات والقدرات يركز على الأنشطة، فيكون بمقدور التلميذ مزاولة نشاط معين على موضوعات كثيرة للتعلم.

✓ تدعيم وترسيخ المكتسبات:

بعد الانتهاء من تحصيل درس معين (تعلم - أو كيفية التعلم)، لابد من مزاولته في وضعيات مختلفة حتى يتأكد من رسوخه في الذهن، ويتم هذا الترسخ عبر التمارين التطبيقية والتكرار.

✓ وظيفة تقييم المكتسبات:

إن نوع التقييم الذي يمكن أن يتضمنه الكتاب المدرسي هو التقييم التكويني، فالتقييم التكويني يساعد الأستاذ على تشخيص نقائص التلميذ وأخطائه، فلهذا كان من الأفيدي أن يقترح الكتاب المدرسي عدة أشكال لعلاج نقائص التلاميذ.

✓ وظيفة المساعدة على إدماج المكتسبات:

وتسعى إلى تجنب توالي وتتابع المعرفة دون استيعاب وذلك بصياغة تعليمات تندمج تدريجيا في بعضها البعض، بحيث يتم الربط بين المكتسبات السابقة واللاحقة.

✓ وظيفة المرجعية:

يمكن اعتبار الكتاب المدرسي وسيلة يرجع إليها التلميذ للبحث عن معلومات دقيقة، وفي كثير من الأحيان قد يكون الكتاب المدرسي المصدر الوحيد للبحث عن المعلومات (خاصة في العالم القروي والمناطق النائية)، أما في المجال الحضري، فقد نجد مصادر أخرى تنافس الكتاب المدرسي وتتعدها..

✓ الوظيفة الاجتماعية والثقافية:

يهدف الكتاب المدرسي إلى بناء الشخصية وتقويم السلوكات ودمج التلميذ في مجتمعه، ولهذا لا بد من تضمين الكتاب المدرسي تعلمات مرتبطة بالعلاقات الإنسانية واندماج الفرد في محيطه الاجتماعي.

✓ الوظيفة الروحية:

وهي وظيفة تواكب جميع الوظائف السابقة، إن خلو الكتاب من أي إشارة إلى هذا الجانب الروحي يتنافى مع تكوين الشخصية الإنسانية فلا يمكن التركيز على الجوانب وإغفال أهم عنصر يحرك الإنسان، ولا يمكن فصل هذه الوظيفة عن باقي الوظائف بحيث يخصص لها كتاب "ديني" يهتم بالشؤون الدينية (العبادات العقائد)، بل يجب أن ترافق هذه الوظيفة كل التعلمات لإحداث توازن بين الروح والجسد.

وفي الأخير يمكن القول إنه من النادر أن تغطي وظيفة واحدة على الكتاب المدرسي أو يركز على وظيفة أساسية دون وظائف ثانوية.

2 - الوظائف المرتبطة بالأستاذ :

إن الكتاب المدرسي يسعى إلى تقديم الأدوات والوسائل الضرورية التي تساعد المدرس على مزاولة مهامه، وفي هذا المجال يساعد على إبراز المستجدات التربوية والبيداغوجية.

ويمكن للكتاب أن يقترح طرقا جديدة، وممارسات جديدة تأخذ بعين الاعتبار تطور الحقل التربوي.

✓ وظيفة إخبارية علمية وعامة:

لا يمكن لأي شخص أن يكون له اطلاع على كل المعلومات المتوفرة في ميدان ما، ولهذا نجد أن الكتاب المدرسي يوفر للمدرسين المعلومات الأساسية المرتبطة بمادته، وهذا يعني أن على مؤلفي الكتب أن يضمّنوا الكتاب معلومات علمية وموضوعية ومحينة.

✓ وظيفة تكوينية:

بتضمينه المستجدات التربوية، يكون الكتاب حافزا للأستاذ على البحث وتنمية معارفه وخبرته ودافعا للتكوين، والتنقيب على أنجع السبل ليكون الدرس ناجحا والمردودية عالية، خدمة للجودة المنتظرة.

✓ وظيفة المساعدة على تدبير الدروس وإنجازها:

يمكن للكتاب أن يقدم للمدرس أدوات تساعد على إنجاز الدرس.

✓ وظيفة المساعدة على التقييم:

يجد المدرس نماذج لتقييم التلاميذ، وقد يشمل الكتاب أيضا أدوات تساعد المدرس على تقصي الأخطاء وتحليلها وعلاجها في إطار تقييم تكويني.

لقد جاء في "الميثاق الوطني للتربية والتكوين" -الدعامة السابعة: مراجعة البرامج والمناهج والكتب المدرسية والوسائط التعليمية، وخاصة المادة 108 ما يلي: "اعتبارا لكون سلطات التربية والتكوين مسؤولة عن تحديد مواصفات التخرج والأهداف العامة والمراحل الرئيسية لتدرج المناهج والبرامج المدرسية، فإن اللجنة المشار إليها في المادة 107 أعلاه (انظر المرجع) ستشرف على إنتاج الكتب المدرسية والمعينات البيداغوجية وفق تعددية المراجع ووسائل الدعم المدرسي، وتخضع كل أداة ديداكتيكية كيف ما كان شكلها وطبيعتها لزوما لمصادقة سلطات التربية والتكوين".

لسنا هنا بصدد مناقشة ما ورد في هذه الفقرة، فقد يأتي هذا بعد مرحلة تقييمية للمنجزات في هذا الشأن، وإنما نود من خلال هذا المقال وعبر حلقات، تسليط الضوء على كيفية إنجاز الكتاب المدرسي وذلك بالإجابة على التساؤلات الآتية، قصد إشراك عدد أكبر إما في الإسهام في التأليف وإما في تقييم ما تم إنجازه في هذه المرحلة:

- من هم المؤلفون؟ وما هي المهام التي يضطلعون بها؟
- ما هي أهم مراحل إنجاز الكتاب المدرسي؟
- ما هي أنواع الأنشطة التي تساعد على إنجاز التعلّيمات؟
- ما هي الوظائف التي يؤديها الكتاب المدرسي؟
- كيف يتم تقييم الكتاب المدرسي؟
- هل بالإمكان وضع شبكات تقييمية تساعد على اختيار الكتاب الأفضل؟

III - الفاعلون الأساسيون في تأليف الكتاب المدرسي:

إن صياغة الكتاب المدرسي تتطلب تدخل عدد كبير من العناصر في التأليف منها المؤلفون، الكتاب، القراء، الرسامون، دور النشر والطباعة...

1. المؤلفون:

يقومون بصياغة المخطوط انطلاقاً من دراياتهم ومهاراتهم وخبراتهم التي اكتسبوها وقد يكون صاحب الكتاب مؤلفاً وحيداً تكلف بصياغة الكتاب من بدايته إلى نهايته، انطلاقاً من الفكرة إلى تجسيدها وكتابتها.

وقد تكون مجموعة من الأشخاص هي التي سهرت على تأليف الكتاب، وفي هذه الحالة يتم توزيع المهام بينهم على شكل من الأشكال التالية:

♦ إما أن تنقسم المجموعة إلى مجموعتين، مجموعة تتكلف بالجانب الفكري للكتاب وذلك بتحديد الأهداف واختيار المنهجية... بينما تقوم المجموعة الثانية بأشغال الكتاب وتصنيف الصفحات وترتيب الوحدات...

♦ وقد يتوزع العمل على مجموعات، كل فئة تتصدى لشطر من الكتاب، تصميمها وكتابتها ويتم في الأخير تجميع هاته الأجزاء.

♦ وقد تتشكل فرقة تعمل تحت إشراف مفتش تربوي أو مرشد تربوي أو خبير في المجال التربوي الديداكتيكي أو متخصص في إقرار المضامين والمواد المدرسية.

وكيفما تم العمل، على انفراد أو في مجموعة، فغالبا ما يتطلب الأمر اللجوء إلى مساعدة خارجية لتكليفها ببحث معين سواء تعلق الأمر بجمع المعطيات أو الوصول إلى بعض الوثائق، أو طلب إبداء الرأي حول بعض المعلومات التقنية أو العلمية.

وإذا كان للعمل الجماعي عدة مزايا، فقد تعترضه بعض العقبات نذكر أهمها:

♦ قد يطمع عمل المجموعة عدم الانسجام على مستوى الشكل أو المحتوى، فعندما يتم توزيع المحتويات بين أفراد المجموعة، قد يؤدي هذا إلى التركيز على هذه المحتويات وإغفال الجوانب المنهجية والبيداغوجية.

♦ ومن جهة أخرى فإن عمل المجموعة، لما يتطلبه من مجهودات وضغوطات، يتطلب انسجاماً وتوافقاً كبيراً بين أفراد المجموعة، فكل إغفال للعلاقات الإنسانية

أثناء الصياغة قد ينعكس سلبي على مردودية المساهمين واستعدادهم للبذل والمشاركة الفعالة.

2. الناشر:

تتكلف دور النشر بالسهر على صياغة الكتاب وتصنيعه وتمويله وتوزيعه، ولم يعد الناشر يكتفي باختيار المخطوط الملائم، أو بتكليف مؤلفين بكتابته، ولكنه بدأ يتدخل فعليا في سيرورة الإنجاز وذلك بتنبيه المؤلفين إلى مراعاة الجودة من جهة، وبتكليف لجن لقراءة المخطوط أو تقييمه وإبداء الرأي في المجال العلمي والبيداغوجي، كما يتكلف أيضا بالجوانب التقنية كالأخطاء اللغوية وتصنيف الصفحات، والاعتناء بالشكل الخارجي والداخلي.. ويوجه الناشر عناية خاصة للصور والرسومات والأشكال الهندسية وكذا طريقة الكتاب وشكلها وحجمها، حتى يكون الكتاب ذا جودة عالية ولكن وفق ما حدده دفتر التحملات.

✓ صناعة الكتاب:

وتخضع لدفتر شروط يحدد الخاصية التقنية الواجب اتباعها من طرف الشخص المكلف بالطباعة وإخراج الكتاب في شكله النهائي. ويراعى في هذا الجانب حجم الكتاب، نوع الورق ووزنه، وشكل تجليد الكتاب.

✓ التمويل:

يخضع إنجاز الكتاب لميزانية محددة يراعى فيها كل عناصر التكلفة. وقد يؤدي هذا الضغط المادي إلى تغيير بعض جوانب عملية التصنيع والإنجاز، بحثا عن أشكال أخرى تكون أقل تكلفة لكي يتم تحديد ثمن البيع بمبلغ يتناسب والقدرة الشرائية للمستعملين. وهذا قد يضطر الناشر إلى استعمال ألوان أقل جودة وأقل جمالية ولكنها غير مكلفة.

✓ التوزيع: قد يكون الموزع هو الوزارة الوصية على التعليم حالة وجود

كتاب واحد مقرر من طرفها بالنسبة لجميع التلاميذ. ولكن في حالة وجود تعددية وتنافس، فغالبا ما يقوم بهذه المهمة الناشر ويلجأ في هذه الحالة إلى عدة أساليب منها:

♦ الإشهار بواسطة مطويات تعرف بالكتاب وبمحتوياته وبعناصره الإيجابية.

✧ عن طريق توزيع "نماذج" مجانية لبعض الفاعلين التربويين كالتنواب والمفتشين لاستمالتهم ودفعهم لتبني الكتاب والدفاع عنه في المجالس المتخصصة واللجن المكلفة باختيار الكتب.

✧ يضمن الناشر سواء في مقدمة الكتاب، أو على ظهر الغلاف الخارجي معلومات حول جودة الكتاب، تميزه عن غيره والجديد الذي أتى به، والأهداف المراد تحقيقها..

3. التقييم :

✓ التجارب والاختبارات: يتم استعمال الكتاب من طرف عينة تمثيلية، ويستحسن أن تتم تجربة الكتاب ومدى ملاءمته لحاجيات التلميذ في الظروف الطبيعية التي فيها يتم عادة استعمال الكتاب المدرسي.

✓ التقييم: إلى جانب الاختبار والتجربة، هناك أشكال أخرى لتقييم الكتاب المدرسي:

✧ تقييم من طرف المؤلف نفسه لتحسين جودة مخطوطه وذلك بالاعتماد على شبكة تقييمية وتقويمية، ويمكن اعتبار هذا التقييم تقييما ذاتيا.

✧ تقييم من قبل عناصر خارجية بخبرة والخبراء والمتخصصون في المادة، ويبحث هؤلاء مدى مراعاة الجانب العلمي ومدى ملاءمة الكتاب للاستعمال من طرف الفئة المستهدفة، ويعملون على تحسين جودته.

✧ تقييم يركز على الرقابة المفروضة من السلطة الوصية، إذ تقوم بمراقبة مدى موافقة الكتاب المدرسي للمقرر الدراسي الرسمي، ويتم على إثرها المصادقة أو عدم المصادقة، وقد ينتج عن هاته المراقبة توجيهات بخصوص إعادة الصياغة وتحسين الجوانب التي لم تحترم الشروط والمعايير الموضوعية سلفا (دفتر الشروط أو دفتر التحملات). ولكن غالبا ما تكون هذه الرقابة وسيلة لمنع النشر.

✧ تقييم أثناء استعمال الكتاب لكي يتم إقرار نوع التكوين الضروري لتنمية أو تحسين استعمال الكتاب.

✧ تقييم التأثيرات التي خلفها الكتاب على مستعمليه، من تلاميذ ومدرسين ومفتشين ومسؤولين..

4. الاستعمال: يتم استعمال الكتاب من لدن:

✓ التلاميذ (كتاب التلميذ)

✓ المدرسون (كتاب الأستاذ)

✓ التلاميذ والمدرسون (بعض كتب التمارين)

5. التكوين: من المفروض أن يحظى الأساتذة بتكوين كلما ظهر كتاب جديد لإطلاعهم على المستجدات وعلى كيفية استعماله، إلا أن شيئاً من هذا القبيل لم يتم.

IV - مراحل إنجاز الكتاب المدرسي:

إن إنجاز كتاب مدرسي يتطلب وقتاً طويلاً، يرى سوكان Seguin أن كتابة المخطوط، عملية النشر والطباعة والتوزيع قد تستغرق هذه العمليات على الأقل ستة سنوات، ويضيف أنه من المنطقي تخصيص مدة لا تقل عن 21 سنوات، إذا أضفنا للمراحل السابقة مرحلة الدراسات الأولية ومرحلة التخطيط، ومرحلة انتقاء وتكوين الأفراد.

ويمكن تقسيم مراحل الإنجاز إلى ثلاثة مراحل أساسية، تتفاعل فيما بينها:

- مرحلة تحديد المشروع.

- مرحلة الكتابة.

- مرحلة التصنيع.

مرحلة تحديد المشروع:**✓ ضبط الحاجيات:**

وتنطلق من دراسة الفرق بين ما هو كائن وما نطمح إليه، وذلك على ضوء تقييم الكتاب المتوفر والوقوف على نقائصه، أو على إثر تغييرات طرأت في التوجيهات الرسمية بخصوص المنهجية المتبعة.

ومن المفروض أن تتم هذه العملية على صعيد القاعدة، أي انطلاقاً من آراء الممارسين الفعليين، مدرسين ومفتشين.

وينصب ضبط الحاجيات على الجانب البيداغوجي والتقني، إذ يتم مراعاة المستوى التعليمي والمواد الأساسية والوظائف الأساسية التي يجب أن يضطلع بها الكتاب، أما على المستوى التقني، فيتم التركيز على سهولة القراءة، حجم الكتابة، الألوان المستعملة، الصور، نوع التجليد والغلاف.

✓ تفصيل المشروع وتوضيحه:

وغالباً ما يتم هذا الأمر عبر دفتر الشروط (أو دفتر التحملات) الذي يحدد الأهداف الأساسية والمدة والجوانب البيداغوجية الواجب اتباعها.

✓ تحديد مفهوم التعلم:

ما هي النظرية التي ينطلق منها المؤلفون؟ هل الكتاب ينطلق من نظرية واحدة للتعلم أم يمزج بين عدة نظريات؟ هل يتم توضيح ذلك في الكتاب؟ لذا يجب من البداية وقبل الشروع في الكتابة، تحديد النظرية المتبعة حتى يتم على ضوئها إنجاز الدروس والتمارين والوحدات الدراسية.

1 مرحلة الكتابة:**✓ تحديد المحتوى وبنيته:**

ويهم محتوى الكتاب وليس محتويات التعلم. ويتم وضع فهرس الأجزاء الأساسية للكتاب.

✓ مراقبة موافقة الكتاب للمقررات الرسمية:

لقد سبق وأن أشرنا إلى وجود لجنة تقويم في آخر المطاف بهذه العملية، ولكن لابد للمؤلف أن يقوم هو نفسه أيضا خلال عملية التأليف، بهذه المراقبة وذلك عبر محطات تقييمية أو باستشارة خبراء أو ممارسين فعليين.

✓ استشارة الممارسين والخبراء:

إنه لمن الضروري والبدهي استشارة الممارسين (مدرسين ومفتشين) لضبط الحاجيات والوقوف على النقائص وما هو مأمول. ولا بد أيضا من استشارة المتخصصين العلميين للوقوف على آخر المستجدات التربوية في المجال التربوي.

✓ تكوين ملف:

يتضمن كل الوثائق الضرورية: مطالعات، أفكار مبعثرة يتم تجميعها، نماذج من الدروس التطبيقية، جذاذات، مراجع ديداكتيكية، مراجع تخص مجال التأليف، مراجع في علم النفس...

✓ كتابة فصل من فصول الكتاب:

يعكس التوجه العام للكتاب ويمكن عرضه على بعض الأفراد لإبداء الرأي حوله ثم إخضاعه للتجربة وذلك بوضعه بين يدي بعض المستعملين، حتى يتم التأكد من الجوانب الآتية:

- هل يستجيب الكتاب لمتطلبات المستعملين ؟
- هل المستجدات التربوية المدمجة في الكتاب في متناول المستعملين ؟
- هل هناك توازن بين الكم المعرفي واكتساب الكفايات ؟
- هل الكتاب في مجمله، يتناسب مع مستوى التلاميذ ؟
-

✓ معالجة المحتوى:

يتم تحديد المحتويات الواجب اكتسابها من طرف التلميذ وربطها فيما بينها لكي يكون هناك انسجام وتوافق واستمرارية.

2 مرحلة التصنيع:

✓ الجانب التقني للكتاب:

ويتم تحديد عدد صفحات الكتاب، حجمه، شكله الخارجي، والألوان المستعملة.

✓ التحرير الإجمالي:

في حالة وجود فريق عمل لابد من وضع آليات للتنسيق بحيث تنسجم الفقرات المخصصة لكل فرد من المجموعة مع باقي فقرات وأجزاء الكتاب ومن بينها:

- الاتفاق على بنيات معينة يتم اتباعها أثناء التحرير.
- تعيين فرد يعيد قراءة كل منتج للوقوف على الأخطاء.
- كل فرد يعرض منتوجه على باقي أفراد الفريق ويتم تدارسه.
- لابد من عقد لقاء جامع لإلقاء نظرة عامة وشاملة على كل أجزاء الكتاب لتجاوز كل ما يمكن أن يخل بالانسجام بين الفصول والفقرات.

✓ إنجاز الرسومات والصور:

وتشمل الصور الفوتوغرافية والرسومات والوثائق التاريخية والجداول وغيرها. وإذا كانت هاته الرسومات والصور تعمل على تزيين الكتاب وجعله مرغوبا لدى القارئ، فإن الجانب البيداغوجي يكتسي أهمية كبرى بحيث تعمل الصور على المساعدة في التوضيح والشرح.

✓ القراءة الإجمالية لمحتويات الكتاب:

قبل نشر الكتاب يتم عرضه على مجموعة من الأفراد يتميزون بتخصصهم في المجال الذي يتم فيه التأليف، والهدف من هذه العملية هو تقييم الكتاب قبل إخضاعه للتجربة.

✓ اختبار الكتاب:

إن إجراء اختبار الكتاب أمر بالغ الأهمية لأنه يسمح بالتحقق من مدى تحقيق الكتاب لبعض الشروط الأساسية، ويتم على إثر هذا الاختبار إدخال التعديلات اللازمة.

وقد يتم إنجاز الاختبار على نطاق واسع، بحيث يشمل على الأقل عشرين فصلا دراسيا تتوزع بين المجال الحضري والقروي وبين الأقسام العادية والأقسام النموذجية...

وقد يتم على نطاق ضيق بحيث يستهدف فقط 4 أو 5 أقسام يشكلون عينة تمثيلية.

ويهدف الاختبار إلى الإجابة على الأسئلة:

- هل محتويات الكتاب (تعليمات- تمارين) تتناسب وعمر الطفل ومستواه؟
- هل التعليمات التي يتضمنها الكتاب (أسئلة) واضحة وسهلة الفهم؟
- هل الأنشطة المقترحة قابلة للإنجاز؟
- هل يضم الكتاب محفزات؟
- ...

✓ محاولة أولية لترتيب شكل الصفحات:

وذلك للبحث والتشاور حول الشكل المناسب وتتم تجزئة الألوان وترتيب النص والصورة، وأثناء هذه المحاولة يتم البحث عن الشكل المتميز الذي يعطى للكتاب.

✓ عملية التصحيح:

عند الانتهاء من تصفيف الصفحات وترتيبها، لابد من إخضاع الكتاب لعملية التصحيح.

ومن الأفضل أن تتم هذه العملية من طرف مجموعة مستقلة لتشارك في صياغة الكتاب.

V - شبكة لتقييم الكتاب المدرسي:

أ- الجانب الشكلي:

✓ عنوان الكتاب:

✎ المؤلف أو المؤلفون،

✎ الناشر،

✎ سنة النشر،

✎ المستوى الدراسي،

✎ ثمن البيع،

✎ مصادق عليه من طرف الوزارة،

✎ غير مصادق عليه من طرف الوزارة،

✎ كتاب التلميذ،

✎ دليل الأستاذ،

✎ كتاب التمارين،

✓ الغلاف الخارجي:

✎ ذو جاذبية وجمالية،

✎ الصورة الخارجية للغلاف تعكس المحتوى،

✎ العنوان واضح وسهل القراءة،

✎ يظهر المستوى الدراسي جليا على الغلاف،

✎ هل الغلاف والتجليد متين ويصمد للاستعمالات اليومية؟

✎ هل الأوراق متماسكة؟

✎ هل تم اختيار نوع الورق وما يتناسب شروط الاستعمال؟

✎ هل الورق المستعمل يسهل عملية القراءة؟

✎ هل الصفحات مرقمة؟

✎ هل الترقيم واضح؟

✎ هل فصول الكتاب مرقمة؟

✎ هل شكل الكتاب يتناسب وعمر التلميذ؟

✎ هل حجم الكتاب يتناسب وعمر التلميذ؟

- ❖ هل يسهل حمله؟
- ❖ هل يحتوي الكتاب على أكثر من لون؟
- ❖ هل اختيار الألوان يتناسب مع المعايير المعمول بها؟
- ✓ تشكيلة الحروف المطبعية:
- ❖ هل تم اختيار تشكّل الحروف وتصنيفها بعناية؟
- ❖ هل تمت مراعاة عمر ومستوى التلميذ عند اختيار حجم الحروف؟
- ❖ هل تمت مراعاة التمييز بين العناوين الأساسية؟
- ❖ هل هناك متسع كاف بين الكلمات؟
- ❖ هل يتضمن الكتاب فهرسا؟
- ❖ هل يظهر الفهرس بوضوح تقطيع المحتوى؟
- ❖ هل يسهل الفهرس عملية البحث عن الفصول والمقاطع الدراسية؟
- ❖ هل الثمن يتناسب مع نوعية وجودة الكتاب؟

2- الجانب المرتبط بالوضعية التعليمية التعلمية:

- ✓ هل يراعي الكتاب الأهداف الوطنية؟ (الغايات والأهداف العامة).
- ✓ هل يحترم التوجيهات الرسمية المتعلقة بالمادة؟
- ✓ هل يراعي الكفايات والقدرات الخاصة بكل سلك تعليمي؟
- ✓ هل يعمل على تحقيق المواصفات المرتبطة بكل سلك تعليمي؟
- ✓ هل يراعي العوامل النفسية والاجتماعية المرتبطة بعمر الطفل؟
- ✓ هل يراعي البيئة التي يعيش فيها التلميذ؟
- ✓ هل يحافظ على الهوية الوطنية والدينية؟
- ✓ هل المعلومات مطابقة للمفاهيم العلمية الحديثة؟
- ✓ هل تم تعريف المفاهيم العلمية الأساسية بدقة؟
- ✓ هل تم احترام كتابة الرموز حسب المعايير المتعامل بها؟
- ✓ هل يقترح الكتاب منهجية لاكتساب التعلمات؟
- ✓ هل يقترح طريقة العمل؟
- ✓ هل يعود التلميذ على تنظيم دراسته؟
- ✓ هل يقترح العمل بالمجموعات؟
- ✓ هل يقترح العمل عن طريق بيداغوجية المشروع؟

- ✓ هل يركز في تلقي المكتسبات على البيداغوجية الفارقية ؟
- ✓ هل يعمل بنظام المجزوءات ؟
- ✓ هل يعمل بنظام الوحدات الدراسية؟

3- الجانب المرتبط بمجال التعلم:

✓ التعلم تتركز على:

- x الكفايات والقدرات
- x الأهداف الإجرائية،
- x الأنشطة،
- x التمارين التطبيقية،
- x التمارين التقييمية،
- ✓ هل يميل الكتاب إلى الانسجام والتماسك والترابط ؟ :

- x بين الأجزاء،
- x بين الفصول،
- x بين الكفايات والقدرات،
- x بين الدروس،
- x بين المجزوءات،
- x بين الوحدات الدراسية ،
- x بين المحتويات،
- + هل يقترح الكتاب وضعيات للتعلم ؟
- + هل يقترح الكتاب أعمالاً تطبيقية؟
- + هل يقترح الكتاب وضعيات تسمح للمدرس بأخذ المبادرة ؟
- + هل يتضمن الكتاب المعلومات الكافية التي تسمح للتلميذ بالتعامل مع الوضعيات المقترحة ؟

- + هل يتم اقتراح طرق بيداغوجية تساعد على استقلالية التلميذ ؟
- + هل يقترح الكتاب أشكالاً تساعد التلميذ على تنظيم عمله.

✓ الجانب اللغوي :

- x هل اللغة المستعملة تتناسب مع عمر ومستوى التلميذ ؟
- x هل اللغة المستعملة تتناسب مع تكوين المدرس ؟

- x هل المفردات والمصطلحات العلمية تتناسب وعمر ومستوى التلميذ ؟
- x هل تحظى المفردات والمصطلحات بعناية خاصة من الشرح والتحليل ؟
- x هل تركيبة الجمل تسهل الفهم السريع ؟
- ✓ العلاقة بين فصول الكتاب :
- x هل كل فصل مستقل بذاته ولا علاقة له بالفصول الأخرى ؟
- x هل هناك وحدات دراسية تعمل على وضع انسجام وإدماج للفصول فيما بينها ؟
- x هل يسمح الكتاب بالتقدم مع المقرر عبر الربط بين المكتسبات السابقة واللاحقة ؟
- x هل يتم تحديد محتوى كل فصل قبل الشروع فيه ؟
- ✓ الجوانب الاجتماعية والثقافية والتاريخية :
- x هل يستحضر الكتاب الجوانب التاريخية للأمة ؟
- x هل يستعرض الكتاب المحيط الاجتماعي للتلميذ ؟
- x هل يتضمن الكتاب وضعيات ترتبط بالحياة اليومية للتلميذ ؟

4- الجانب المرتبط بالتقييم:

- x هل يحتوي الكتاب على جزء خاص بالتقييم ؟
- x هل يتم تقييم مكتسبات التلميذ ؟
- x هل يعمل التقييم على مراقبة مدى تحقق الأهداف ؟
- x هل يتم تحديد الأهداف والمعايير التقييمية ؟
- x هل ينصب التقييم على تمارين تتدرج في الصعوبة ؟
- x هل تتم الإشارة إلى تدرج صعوبة التمارين ؟
- x هل ينصب التقييم على شخصية التلميذ وعلى سلوكياته ؟
- ✓ التقييم التكويني:
- x هل هناك تنوع في الأنشطة والتمارين التطبيقية ؟
- x هل يتم اقتراح نماذج للإجابة ؟
- x هل هناك جزء خاص بالحلول ؟
- x هل يقترح الكتاب أنشطة وتمارين تراعي الفروقات الفردية ؟
- x هل يقترح الكتاب أنشطة وتمارين لتدارك أخطاء ونقائص التلاميذ ؟
- ✓ التقييم والكفايات :

- x هل تتطابق الكفايات المعتمدة مع التوجيهات الرسمية ؟
- x هل تم تحديد كفايات السنة الدراسية بدقة ووضوح ؟
- x هل تم تحديد القدرات بدقة ؟
- x هل يشتمل الكتاب على جدول للتخصيص ؟
- x هل تم تحديد الأهداف والكفايات الخاصة بكل فصل ؟
- ✓ الوسائل المساعدة:
- x هل يشير الكتاب إلى استعمال وسائل بيداغوجية أخرى (وسائل سمعية بصرية - إعلاميات...).

المراجع:

- 1) Gérard. F.A. et Regier (1999) : l'évaluation d'un manuel de littérature : le rigueur d'une démarche au service du plaisir de l'écriture/ Enjeux. Revue de didactique du français n° 45, pp: 105-118.
- 2) Gérard. F.A. et Roegiers. 1993. Concevoir et évaluer des manuels. Bruxelles. Boeck université.
- 3) Gérard. F.A. et Regier : Les manuels scolaires au service d'une pédagogie de l'intégration. Document HTML.
- 4) Jambin. A., Choisir un manuel. Académie de Toulouse.
- 5) Suso J. Grille d'analyse des manuels. Université de Granada. 2001.
- 6) Lyoen. D et Saint Germes. F., Analyse des manuels de lecture (travail de recherche pour l'année scolaire 1996-1997).
- 7) Ruth Alimi et Dominique Poublon et Claude Rio, Le choix d'un manuel : quelques critères ? Académie des Versailles.